المحاضرة الثانية: الحياة العلمية في العصر العباسي

لمحة عن الحياة الفكرية والثقافية:

استقى العباسيون الثقافة من عدة روافد وأوعية، ففضلاً عن الثقافة الإسلامية فإنهم اخذوا من الثقافة اليونانية شيئاً كثيراً، وذلك عن طريق المدن التي كثر فيها عنصر الروم، مثل حران وأنطاكية والاسكندرية. ويعد الخليفة أبو جعفر المنصور الرائد الاول في طلب العلوم والمعارف، وهو أول خليفة ترجمت له الكتب من اللغات الاخرى، كما هارون الرشيد أنشأ دار الحكمة، وجعل فيها طائفة من المترجمين، لتصبح الترجمة عاملاً آخر من العوامل التي اسهمت في الاطلاع على الثقافات الاخرى، ومنها الثقافة اليونانية. وبلغت خلافة المأمون القمة في البحث عن المعرفة والترجمة.

ومن الروافد الثقافية الاخرى الثقافة الهندية، ونقلوا منها لا سيما في الرياضيات والفلك والطب، كما تذوق العرب قصص الهنود فقاموا بترجمة روائعه، مثل (كليلة ودمنة) وترجمها ابن المقفع عن الفارسية، وهي هندية الاصل من تأليف (بيدبا).

وجدير بالذكر ان الدويلات المستقلة قد تنافست في جذب العلماء والادباء، واستقطاب المفكرين، والإغداق عليهم بالاموال والهدايا، وكانت غالبية ملوك الدويلات وامرائها يهتمون بالمجالس الفكرية والعلمية والادبية. فمثلاً ارتقى الادب والعلم مكاناً مرموقاً في إمارة الحمدانيين في القرن الرابع الهجري، وحظيت العلوم والآداب في عهد الدولة الفاطمية رعاية وعناية، وقد نبغ عدد من ملوكها بنظم الشعر، وازدهرت الحركة الفكرية في عهد الزنكيين الذين حكموا الموصل وحلب ، فشجعوا أهل العلم والأدب. وشهد عصر الايوبيين في مصر والشام نهضة علمية وادبية كبيرة، وكان مؤسس دولتهم صلاح الدين الايوبي الكردي يتذوق الشعر ويهتز له.

ونشطت الحركة العلمية والادبية في ظل الإمارة البكتكينية في أربيل في نهاية القرن السادس ومطلع القرن السابع للهجرة، ويعد السلطان مظفر الدين كوكبري من أعظم رجال هذه الإمارة.

ومن معالم الحركة الفكرية في العصر العباسي كثرة المكتبات، واقتناء الكتب الكثيرة، فضلاً عن كثرة المدارس، التي أنشأها الخلفاء والامراء والأثرياء، مثل المدرسة الصلاحية التي أنشأها صلاح الدين الايوبي الكردي في القدس.

ومن الوسائل التي يسرت نشر العلم والإقبال عليه صناعة الورق في العالم الإسلامي، وكانت بغداد ومصر من مراكز هذه الصناعة، ان نسخ الكتب وبيعها شملت مختلف العلوم اللسانية والشرعية والعقلية والجغرافية والطب والمعارف والموسيقى والغناء والتصوير وسواها.

لقد بقي العالم الإسلامي متماسكاً من الناحية الثقافية، وان كان منقسماً سياسياً لا سيما في عهد البويهيين ثم السلاجقة، فنجد انتشار لغة القرآن (اللغة العربية) بين الطبقات المثقفة ، وتصير لغة الكتابة والادب شعراً ونثراً بين جميع الاقوام.

علماء العصر العباسي وعلومهم :

لقد تعددت العلوم وتوسعت وكانت على قدر عال من الأهمية والأولوية لدى الخلفاء العباسيين بشكل عام، ومن تلك العلوم والميادين المعرفية والثقافية:

اولا : الشعر

لقد عني علماء اللغة في البصرة والكوفة بجمع ألفاظ اللغة وأشعار العرب في الجاهلية والإسلام ؛ لحاجة من دخل الإسلام من غير العرب إلى إتقان لغة الدين ، وكذلك عدم تفشي اللحن على ألسنة المستعربين.

وقد تعاقب **ثلاثة أجيال** من علماء البصرة لهذا العلم:

الجيل الأول: ويمثله أبو عمرو بن العلاء (ت 154هـ)

الجيل الثاني: ويمثله الأصمعي (ت 213هـ).

الجيل الثالث: ويمثله محمد بن سلام الجمحي ومن علماء الكوفة اشتهر المفضل الضبي ، وابن الأعرابي.

ثانياً: علم النحو

لم يكن علم النحو أقل اهتماماً من العلوم الأخرى ، فقد برز فيه الخليل بن أحمد الذي وضع أسسه، ثم تلميذه سيبويه صاحب كتاب (الكتاب) وهو كتاب قيم ومرجع مهم للنحويين.

سؤال: ما الأسباب التي أدت إلى قيام بعض العلماء بجمع ألفاظ اللغة واشعار العرب ؟ ومن برز أولئك العلماء ؟

ثالثاً: العلوم الدينية

لقد ظهر علماء نذروا حياتهم لخدمة الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ، وهم في التفسير: سفيان بن عيينة ، وكيع بن جراح ،إسحاق بن راهويه، وفي الفقه والحديث: عبد الملك بن جريج ، حماد بن سلمة ، سفيان الثوري، بالإضافة إلى تأسيس المذاهب الفقهية وبدأ التأصيل في الفقه والتوسع في الآراء، كما ألفت كتب الصحاح الستة وغيرها من كتب ومراجع الدين الاسلامي.

رابعاً: علم التاريخ

برز الاهتمام في علم التاريخ في البدء بسيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم انضمت إليه تاريخ الرسل ، بعد ذلك صار الكتاب يعمدون الى الاهتمام بجمع الأشعار ورواتها لمعرفة

تاريخ العرب الجاهلي والإسلامي وتاريخ الأمم المجاورة للجزيرة العربية وخاصة الفرس ، وكذلك الاهتمام بما يروى من الأحاديث لاستقاء السيرة النبوية.

ومن ثم أخذ الاعتناء بالقصص يبرز ولا سيما عن قصص الأنبياء والرسل لتوضيح جانب من القصص القرآني للوعظ والتذكير باليوم الأخر ،ومن أشهر المؤرخين في بداية العصر العباسي محمد بن إسحاق المتوفى سنة 150هـ.

سؤال: مم استمد علم التاريخ مادته في العصر العباسي ؟

خامساً: علوم أخرى

لقد نهضت العلوم الأخرى بتأثير الترجمات الكثيرة ، فنبغ مجموعة من العلماء النبهاء في كل علم ، كالجغرافيا ، الطب ، والكيمياء والفلك والرياضيات ، وغيرها.

وبالرغم من حياة الضعف التي ظهرت على الدولة العباسية إلا أنها في الجانب الثقافي والعلمي نشطت نشاطاً كبيراً ، فالمعلمون يؤدون دورهم و المساجد تزخر بطلاب العلم ، والخلفاء يخصصون رواتب للمعلمين حسب مكانتهم العلمية، فالزجَّاج كان يأخذ راتباً من الخليفة المعتضد في الفقهاء وراتباً في العلماء , وراتباً في الندماء، فبلغ راتبه من الدولة ثلاثمائة دينار شهرياً، وكذلك تنافس الخلفاء والوزراء وحكام الولايات في تشجيع العلماء والأدباء بمنحهم الجوائز والرواتب على مؤلفاتهم وإنتاجهم الفني ، ، وكان تعدد الدويلات دافعاً في تنافس أمرائها في جذب ذوي العقول والمواهب والإقامة لديهم والتعليم في مدنهم وقصورهم ، فأضحت حلب والقاهرة والقيروان وغيرها مراكز للعلم والأدب ، وليست بغداد فقط.

سؤال مهم: تحدث عن جهود الخلفاء العباسيين ووزرائهم في الحركة الفكرية ؟